المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية
المجلد الخامس عشر - العدد الاول ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١

WWW.ATTAWEEL.COM

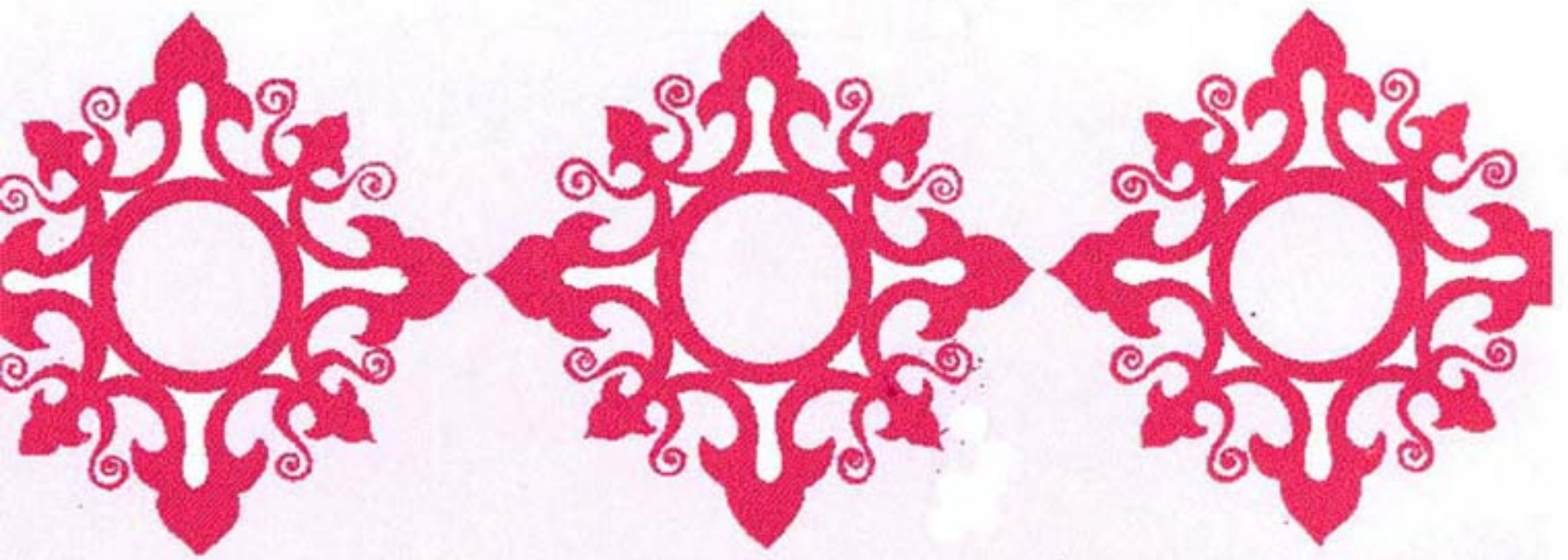

أسماء المدن ومحلاتها

الصورة الفنية في جهود النقاد العرب القدامى

الدكتور
عبد الإله الصائغ
جامعة الموصل ـ كلية الآداب

لم يكن اهتمام النقاد والعلماء العرب بدراسة الصورة رد فعل لجهود اليونان القدماء في دراسة الصورة(١) اذ لايمكن تصور شعر خال من الصورة(٢) ولم يكن الاهتمام ايضا ثمرة للبيئة اللغوية والكلامية والفلسفية(٣) والقبول بتلك الفرضيات يعني الغاء للطبيعة الابتكارية في العقل العربي ، وقد كفانا الدارسون مؤونة الخوض في اسباب ضياع الشعر الذي يحوم حول الصورة ونقده . وسنحاول بيان الجهد العربي القديم الذي تصدى لدراسة الصورة الفنية .

١ ـ الجاحظ ت (٢٥٥هـ)

ناقد له نظر في الصورة (٤) وهو واضع اساس البيان العربي(٥) كان معنياً بالدلالة فالهزال معناه الاعتلال والضحك معناه السرور ، وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الاصوات (وضروب صور الاشارات وصور جميع الهيئات) (٦) والابداع عنده مقترن بالحسن الرائع و (المحاسن الدقاق) التي تكون (مذهلة للقلوب) (٧) فهي كالطرب الذي تعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل وادامة التفكير . وخير هذه المحاسن ما كان القلب الى قبولها اسرع من اللسان الى وصفها(٨) والشعر الذي يسرع القلب الى قبوله ذلك الذي يصور لنا ما يدهشنا ؛ ويحسن تركيب الكلمات ، وانما الكلمات (صور وعلامات وخلق مؤتل ودلالات)(٩) ولا مسوغ لقبول (ان تقول كما يقولون فقل والا فخالف تذكر) (١٠)، فلكل مذهبه في التصوير فقد اجاد عنترة في رسم صورة الذباب ولو حاكاه امرؤ القيس (في هذا

(١) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ٨ + الصورة في الشعر العربي ١٥ .
(٢) فلسفة الجمال ١٦٩ .
(٣) الصورة الفنية في التراث ١٢٦ ـ ٢٠٣ .
(٤) يمكن القول ان للخليل بن احمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ اشارة الى قدرة الشعراء في التصوير وهذه الاشارة لا تعني بالضرورة الصورة الفنية وقد نقل منهاج البلغاء ١٤٢ قوله في الشعراء . (يصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل) .
(٥) نقد النثر (مقدمة طه حسين) ٣٠ + الجاحظ (المقدمة) ١١٥ .
وانظر في النظر النقدي للجاحظ : مناهج بلاغية ١٦١ + اساليب بلاغية ١٣ .
(٦) الحيوان ١/٣٠ ، ٥٢ .
(٧) نفسه ١/٤٤ .
(٨) ١٤٣/٣ .
(٩) الحيوان ١/٥٢ .
(١٠) نفسه ٢/٢٧١ .

WWW.ATTAWEIL.COM

المعنى لافتضح)(١١) ورأى الجاحظ ان الناقد ان يمسك بميزان الصورة ولا ينسى المخرج واللغة(١٢) لان (الشعر صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير)(١٣) .

٢. ابن قتيبة ت (٢٧٦)

ثار الدنيوري على المعيار الذي يرجح القديم لقدمه ويسخف الجديد لجدته (١٤) فالشعر عنده ما جاد معناه ولفظه لذلك جعل المقطوعة التي تنسب لابن الطثرية (ولما قضينا من منى كل حاجة) (١٥) في ضرب الشعر الذي حسن لفظه وساء معناه (١٦) ولايريد للنقاد محاكاة النقاد اليونان فالزمان والمكان لايسمحان ولوان مؤلف حد المنطق جرب النقد مع الشعر العربي (لعد نفسه من البكم)(١٧) فلكل امة وذوقه(١٨) ثم يوصي الناظرين في الوصف بمطابقة الصفة للموصوف فالبرذون الابيض لا يوصف ببياض الظهر والشفتين (ارثم الملظ)(١٩) والتفريق بين صورة الوكع من الكوع والخنف من الفدع واللمى من اللطع(٢٠) كما يوصي الشاعر ان يناى عن (وحشي الغريب وتعقيد الكلام كناية عن (سهل الالفاظ ومستعمل المعاني)(٢١) .

٣. ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢)

يدعو الشاعر الى (الوقوف على مذاهب العرب) في تأسيس الشعر والتصرف بمعانيه(٢٢) ليجعل معانيه في احسن زى وابهى صورة ؛ (٢٣) وان عليه ان يمخض المعنى في فكره قبل النظم ويبحث في اسباب الجمال والكمال كما النساج يفوف وشيه باحسن التفويف لكي (يتضاعف حسنه في العيان)(٢٤) وان له ان لم يصور كثيرة مثل الديار والاثار والفيافي والنوق والليل والنجوم والمياه وحتى الجنادب (٢٥) ويضع في حسبانه تفاوت اذواق الناس كتفاوت (مواقع الصور الحسنة عندهم واختلاف بياتهم وطباعهم(٢٦) واضعا بين عيني الشاعر والناقد معا ضروبا من التشبيهات التي تنطلق من الصورة نحو (تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة) و (تشبيه الشي بالشيء لونا وصورة) (و (صورة ولونا وحركة وهيئة) و (تشبيه الشي بالشيء معنى لا صورة) و (تشبيه الشيء بالشيء صوتا)(٢٧) مع امثلة مناسبة مؤملا تفصيلها بكتاب اخر يتم به ماأغفله في هذا الفن (٢٨) .

٤. ابو نصر الفارابي (ت ٣٣٩)

نمة ظل فلسفي على مباحث الفارابي (٢٩) للصورة (٣٠) بيد ان ذلك لايمنع الدارس من ملاحظة عناية الفارابي بالصور الحسية التي تحدث في الذهن بعد غياب المحسوسات عن الحواس ، وتحليله لوظيفة الصورة ؛ فهناك اولا الحاس الذي هو الانسان وهناك ثانيا الحواس التي منها السمع والشم واللمس والذوق والبصر ... وهناك ثالثا الموضوعات التي تقع تحت حس الحاس موضوعا للتصور)(٣١) وعنايته بالتخيل (الكلمة التي وضعها الفارابي في اغلب الظن تفسيرا لكلمة المحاكاة) (٣٢) لان السلوك ـ عنده ـ بحسب التخييل لا بحسب الظن والعلم(٣٣) ولذلك نراه واجدا في (التخييل الشعرى) طاقة مؤثرة يمكن الاستفادة من اثرها الذي لايقاوم(٣٤) في نشر الفضيلة(٣٥) ويمكن

---

(١١) نفسه ٤٤٣/٢ .
(١٢) نفسه ١٦٨/١ .
(١٣) نفسه ٤٤/٢ .
(١٤) الشعر والشعراء ١١/١ .
(١٥) ديوان يزيد بن الطثرية ١/٤ ـ ٣ ص٦٤ .
(١٦) الشعر والشعراء ١٣/١ وانظر ص١٥ نقده للقول المنسوب للاعشى .
(١٧) ادب الكاتب ٥ .
(١٨) نفسه ٤ .
(١٩) نفسه ٧ .
(٢٠) نفسه ٨ .
(٢١) نفسه ٧ ـ ١٠ .
(٢٢) عيار الشعر ٤ + مناهج بلاغية ٢١٢ .
(٢٣) عيار الشعر ٤ .
(٢٤) نفسه ٥ .
(٢٥) نفسه ٦ .
(٢٦) نفسه ٧ ـ ١٠ .
(٢٧) نفسه ١٧ وبعدها + ٢٧ .
(٢٨) نفسه ٢١ .
(٢٩) انظر ترجمته : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٠٣ .
(٣٠) نظرية المعنى في النقد العربي ٧٣. دراسات في الادب المقارن التطبيقي ٢٧٥ .
(٣١) هذا هو الفارابي ٤ .
(٣٢) كتاب ارسطوطاليس في الشعر ٢٥٧ .
(٣٣) احصاء العلوم ٦٨ وبعدها .
(٣٤) نفسه ٦٩ .
(٣٥) الصورة الفنية ٨٢ + هذا هو الفارابي ٤ .

النظر الى الصورة من خلال التصور المطلق مثل تصور الشمس والعقل والنفس او من خلال التصور التصديقي مثل تصور السماء كالاكر بعضها في جوف بعض(٣٦) واذا كانت الصور انماطا امام العيان فهي واحدة في العقل(٣٧) فصورة الانسان في الحواس غير ماهيته في العقل(٣٨) والشاعر في حمال صوره لا يزيد عن محاك ما ابدعه الله من صور (٣٩) فالله سبحانه خالق مفردات الصورة والشاعر ياخذ منها ما يعنيه على اثارة الجمال (فلو لم يكن لبن ولا احجار ولاطين ، فانه لايكون للحائط وجود) (٤٠) .

٥ . الامدي (ت ٣٧٠)

يمكن القول ان الامدى قد اعتمد في اغلب موازنته بين الطائيين على الصورة ولنا ان نلاحظ مفردات في تقويماته مثل « وصف ، اقام ، شبهه، استعار .... » والتفاتات الى دقة الصورة مثل التفاتته الى بيت البحتري :

ضَحِكاتٌ في إثْرِهِنَّ العطايا
ويروقُ السَّحابِ قَبْلَ رُعودِهْ

التي يقول فيها (فاقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا ، وانما كان يجب ان يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد(٤١) ومثل قوله في بيت اخر (وانما عيناه بخطئه في معانيه واحالته في استعاراته وكثرة ما يورد من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه)(٤٢) ونقد الامدي(٤٣) لايغفل الطبيعتين (الكونية والنفسية) حين يجد صورا بعينها وينفر عن اخرى ، وقد لام البحتري في وصفه للبرق ووازن برقه ببرق الاعشى ليصل الى ان البحتري لم يلم ببعض الاساليب العربية كتلك التي ينوب فيها الشيء عن الشيء اذا كان متصلا به او سببا من اسبابه او مجاورا له كقولهم نطا السماء (٤٤) واخذ على الاعشى قوله (شاو شلول مشل شلشل شول)(٤٥) لان (هذه الالفاظ كلها بعد شاو متقاربة في المعنى)(٤٦) ولكنه لاحظ الصورة المتحركة في تشبيهه عجز الغانية بكثبان الرمل المنهالة :

دَوادِفُهُ تَثْنِي الرِّداء تَسانَدَتْ
إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّملَةِ المُتَهَيِّلِ
نِيافٌ كَغُصْنِ البانِ تَرْتَجُّ إنْ مشَتْ
دَبيبَ قطا البَطْحاءِ في كُلِّ مَنْهَلِ (٤٧)

(انما اراد تحرك عجزها في حال مشيها)(٤٨) وقد دعا الشعراء الى العناية بدقة التصوير التي بدونها يمكن ان يكونوا حكماء او فلاسفة بيد انهم لن يكونوا شعراء(٤٩) واقترح على المحدثين النظر الى مادة الصورة وصحة تأليفها واتقانها فالماهر شاعرا نجارا او صائغا يعرف المادة التي يصنع منها اشياءه الجميلة، وسواء في ذلك (خشب النجار وفضة الصائغ واجرة البناء والفاظ الشاعر) (٥٠)

٦. ابن جني (ت٣٩٢)

قال المتنبي فيه (هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس) (٥١) وقد كان ابو الفتح عثمان بن جني رائدا في رايه القاضي بقدرة الكلمة المسموعة المفردة على صنع صورة تحاكي بها المسموعات(٥٢) وعلة تعلقنا باللفظ كونه مفضيا الى معنى(٥٣) وقوة الخادم (اللفظ) قوة للسيد (المعنى) (٥٤) بل ان ابن جني رائد الصورة في الحرف وقد لاحظ صورة في مادة بحث (قالباء) لفلظهاتشبهبصوتها خفقة الكف على الارض والحاء لصحلها تشبه مخالب الاسد وبراثن الذئب ونحوعما اذا غارت في الارض والثاء

(٣٦) عيون المسائل (مؤلفات الفارابي) ٥٠ .
(٣٧) مقالة في العقل (مؤلفات الفارابي) ٦٦ .
(٣٨) رسالة الفصوص (مؤلفات الفارابي) ٦٤ .
(٣٩) رسالة الجمع بين رابي الحكيمين (مؤلفات الفارابي) ٩٤ .
(٤٠) رسالة في المبادىء (مؤلفات الفارابي) ٩٤ + هذا هو الفارابي ٦٦ .
(٤١) الموازنة ٢٧ .
(٤٢) نفسه ٢١ .
(٤٣) مناهج بلاغية ٢١٦ .
(٤٤) الموازنة ٣٣ .
(٤٥) ديوانه ٢٧/٦ .
(٤٦) الموازنة ٢٨٠ .
(٤٧) ديوان الاعشى ٩/٧٧ ، ١٠ .
(٤٨) الموازنة ٣٥٢ .
(٤٩) نفسه ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٥٠) نفسه ٢٨٢ .
(٥١) معجم الادباء ٢٥/٥ .
(٥٢) الخصائص ٤٦/١ .
(٥٣) نفسه ٢١٥/١ - ٢٢٠ .
(٥٤) نفسه ٢٦٤/٣ .

للنفث والنبث للتراب ، وهذا امر تراه محسوسا فاى شبهة تبقى بعده (٥٥) لكنه لايرى ذلك مطلقا ، فقد ابتعدت الالفاظ عن جذورها فضلا عن اثر المجاز والاصلاح (٥٦) ولولع ابن جني بالصورة في الشعر فقد نظر الى قول الشاعر :

وَلَمّا قَضَيْنا مِنْ مِنىً كُلَّ حاجةٍ
وَمَسَّحَ بالأركانِ مَنْ هو ماسِحُ
وَشُدَّتْ على حُدْبِ المَهارى رِكابُنا
وَلَمْ يَنْظُرِ الغادي الذي هو رائِحُ
أخَذْنا بأطْرافِ الأحاديثِ بَيْنَنا
وسالَتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطِحُ

فحلل صوره وانصف قائله وخالف النقاد الذين سبقوه او عاصروه (٥٧) .

وجمال الصورة عند ابي جني في المبالغة التي يمد الاستعارة ثمرتها(٥٨) وقد نقد ابياتا للمتنبي على وفق منظور الصورة ، كان الاول منها في صفة الحرب(٥٩) الا انه لم يزد (في صفة الحرب لانها بهذه الصورة ابدا)(٦٠) والثاني(٦١) جعله يقول يجب ان يكون ما يوحيه الاحصاء اما كثرة العدد واما اخفاء الصورة حتى يكون المعنى تاما)(٦٢) فاذا اعجب ببيت للمتنبي هتف (فهذه صورة المتنبي) (٦٣) وقد نصدى ابن فورجة (محمد بن احمد ت ٤٤٥) لبعض اراء ابن جني فهو يرى ان مهمة الناقد فك الغريب (حتى تكون لمعانيها متصورا) (٦٤) وان يميز بين التمثيل والتصور (٦٥) فالتصور قادر على كشف التقديم والتاخير في التركيب وهو معنى بعيد عن التمثيل(٦٦) ثم نقد بيت شعر فقال (كانه صورة من حسنه) وتبرم بمن لا علم له بنقد الشعر الذي لا يقوم بغير الصورة(٦٧) وما من صورة والخيال وسيلتها وشواهد الشعر كافية لبيان ذلك(٦٨) .

٠٧ ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥)

تكلم العسكري في الفرق بين الصورة والهيئة فقال (ان الصورة اسم يقع على جميع هيئات الشيء لاعلى بعضها ويقع ايضا على ماليس بهيئة الا ترى انه يقال صورة هذا الامر كذا ولايقال هيئة كذا وانما الهيئة في البنية وقال تصورت ماقاله وتصورت الشيء) (٦٩) وبحث في الجمال من خلال مفردات (الحسن والوضاءة والقسامة والوسامة والبهجة والجمال) ليصل الى ان هذه المفردات ادخل في باب الصورة فالملاحة في الفم والحلاوة في العينين والجمال في الانف (٧٠) وللشاعر ان لايخلط الغرر بالعرر(٧١) وعليه الموازنة بين اللفظ والمعنى(٧٢) فالمعاني موفورة ميسورة(٧٣) فاذا ارادها الشاعر فان سبيله اليها يمر بجودة اللفظ وبهائه وكثرة طلاوته ومائه فلايمكن ايصال صور الشاعر بغير اللفظ (٧٤) ولايكمل جمال الوصف الا بمناسبته للموصوف(٧٥) بلا زيادة او نقصان(٧٦) ومتى استطاع ان يصور فيبلغ ويبدع حتى ليكون قادرا على (تصوير الحق في صورة الباطل) فانه عندها يكون حقيقا بصفة الشعر (٧٧) فقد كفاه علمه بجوارح البدن وحواسه التي تسكن الى مايوافقه وتنفر عما يضاده ويخالفه) فالعين تالف الحسن وتقذى بالقبح ووقاه نابه عن تكرار تجارب غيره والخوض في الغريب فهو (يتوخى الصورة المقبولة) (٧٨) التي تخلب البصر وتبهر السمع(٧٩)

---

(٥٥) الخصائص ١٦٣/٢ + ولابن سينا راي مشابه انظر (اسباب حدوث الحروف) ٢٤ وبعدها .
(٥٦) الخصائص ٥/١ .
(٥٧) القطعة في شعر يزيد بن الطثرية ١/٤ ـ ٢ . وفي ص٦٤ ذكر الدكتور حاتم الضامن اسماء النقاد القدامى الذين نقدوا هذه القطعة .
(٥٨) الفسر ٢٠/٢ .
(٥٩) ديوان المتنبي ص٢٨١ ب ٢١ .
(٦٠) الفسر ٤٠/٢ .
(٦١) ديوان المتنبي ص ٢٨١ ب ٢١ .
(٦٢) الفسر ٢ / ١٢٤ .
(٦٣) نفسه ٨١/٢ .
(٦٤) الفتح على ابي الفتح ٣٥ وبعدها .
(٦٥) نفسه ٤٦ .
(٦٦) نفسه ١١٢ .
(٦٧) نفسه ١٥٦ .
(٦٨) نفسه ٢٣٧ + ٢٥٧ .
(٦٩) الفرق في اللغة ١٥٤ .
(٧٠) نفسه ٢٥٦ .
(٧١) الصناعتين ٨ .
(٧٢) نفسه ١٠ .
(٧٣) نفسه ٦٢ .
(٧٤) نفسه ٧٤ .
(٧٥) نفسه ٣٦ + ديوان المعاني ٣٦/١ وبعدها .
(٧٦) الصناعتين ٤٠ .
(٧٧) نفسه + ديوان المعاني ٨٨/٢ .
(٧٨) الصناعتين ٦٣ ، ٧٥ + ديوان المعاني ٢٠٨/٢ .
(٧٩) الصناعتين ١٤٤ .

ولايدع الصور في مصراعي البيت متنافرة كبيت شعر لطرفه (٨٠) جعل (المصراع الثاني غير مشاكل الصورة للمصراع الاول) (٨١) وعاب منافسة الاثنين في الصورة الواحدة فثمة صورة للخيول تجعلنا نقول (لو كان في وصف النساء لكان احسن)(٨٢) ولكنه لم يعترض على نقل الصورة من موصوف الى اخر لضرورة رمزية كنقل اوصاف الفرس الى المرأة،، بينا عاب الشطط في الملاءمة والتناسب حتى لاتفسد الصورة ويتغير المعنى (كما حول راس الى موضع يد) (٨٤) والشاعر المجلي الذى يرسم الصور كما ترى عيناه ولا يسطى على صور غيره وفي حسبانه ان تغيير الالفاظ والتراكيب تمويه للاخرين (٨٥) بعدها بحث العسكري في الصلة بين الصورة والحواس ، وبينهما وبين الايضاح ، تطرق الى انماطها كالمألوفة والغريبة والبسيطة والمركبة والضبابية والناصعة(٨٦) ؛ والصلة بين هذه الانماط والتشبيه مثل (تشبيه الشيء بالشيء صورة) او لونا وحسنا وحركة وصوتا واضعا بين يدينا شواهد شعرية عديدة(٨٧) ؛ وبين انماط التشبيه والاستعارة ذات التأثير الحسن (٨٨) .

٨ • اخوان الصفاء

ظهرت هذه الجماعة مع النصف الثاني من القرن الرابع، وقدلاحظنا ان فهمها للصورة مشوب بالفلسفة ، بيد انه مهم للدارس ، فهم يرون اهمية بالغة للالحان في خلق تأثير للصورة واهمية اخرى لفهم قدرات الحواس في التصور ويميزون السمع والبصر ويمدونهما (من افضل الحواس الخمس واشرفها)(٨٩) لكنهم مع القول الذي يجعل الصورة التي يبدعها الفنان محاكاة للصورة التي ابدعها الله سبحانه(٩٠) بيد ان ذلك لايمنع النفس التي تختزن آلاف الصور كصورة المحبوب مثلا من الاستئناس بالصور التي توافقها(٩١) عن طريق القوة المتخيلة التي تخاطب الحواس بعد غيبة المحسوسات التي تتخيل وتتوهم الحقيقي وسواه (٩٢) والشاعر ازاء هذه القوة صانع (يتفكر ويتخيل ويتصور في وهمه صورة مصنوعة (٩٣) فالمعاني المنبثقة من النفس اليها تفعل بالهيولى(٩٤) وقد يتخيل (جملا على راس نخلة او نخلة ثابتة على ظهر جمل او طائرا له اربع قوائم او فرسا له جناحان أو حمارا له راس انسان وما شاكل هذه مما يعمله المصور والناقشون من الصور المنسوبة الى الجن والشياطين وعجائب البحر مما له حقيقة ومما لا حقيقة له(٩٥) والصورة التي يسمو بها شأن الشاعر هي مزاج بين الخيال والواقع والحسي والذهني بالفاظ عذبة(٩٦) .

٩ • ابو بكر الباقلاني (محمد بن الطيب) ت ٤٠٣

البديع عند الباقلاني تربة تنبت الجمال في التصوير (٩٧) والالفاظ الشريفة بذور هذه التربة، وقد نظر الى قول امرىء القيس :

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيرُ في وُكُناتِها
بِمنْجرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ (٩٨)

فوجده فاتحا بابا في التصوير الشعرى حتى اقتدى به الناس وتبعه الشعراء (٩٩) وحلل صورة الفرس على ضوء (الارداف) الذي ينصرف معناه الى (ان يريد الشاعر دلالة على معنى فلاياتي باللفظ الدال علىذلك المعنى بل بلفظ هوتابع له وردف)(١٠٠) وهذا النحو يقترب من الكناية ومثال هذا الاقتراب قول امرىء القيس (نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)(١٠١) كناية عن ترف المرأة ورفاهها (١٠٢) فتكون الصورة الفنية عند الباقلاني معادلة

---

(٨٠) ديوانه ٢٤/١ ص٢٨ .
(٨١) الصناعتين ١٤٩ .
(٨٢) نفسه ١٥٢ .
(٨٣) نفسه ٢٠٥ .
(٨٤) نفسه ١٦٧ .
(٨٥) نفسه ٢٣٥ .
(٨٦) نفسه ٢٤٦ .
(٨٧) نفسه ٢٥١ ـ ٢٥٨ .
(٨٨) نفسه ٢٧٤ .
(٨٩) رسائل اخوان الصفا ٢٣٦/١ .
(٩٠) نفسه ١٣٨/١ .
(٩١) نفسه ٢٤٠/١ .
(٩٢) نفسه ٤١٦/٣ .
(٩٣) نفسه ٤١٧/٣ .
(٩٤) نفسه ١٢٠/٣ .
(٩٥) نفسه ٤١٦/٣ .
(٩٦) اخوان الصفا ٤٦ .
(٩٧) اعجاز القرآن ٦٦ .
(٩٨) ديوانه ٤٩/١ ص ١٩ .
(٩٩) اعجاز القرآن ٧٧ .
(١٠٠) نفسه ٧١ .
(١٠١) ديوانه ٤٠/١ ص١٧ .

فنية لواقع محسوس وهذه المعادلة تجنح لمطابقة الحال بلا زيادة ولا نقصان حينا او تجنح للمبالغة والغلو حينا اخر ونجاح صنعة الشاعر تكمن في ان (يتخير الالفاظ الرشيقة للمعاني البديعة) (١٠٣) وفي ان يضع في حسبانه ان الصورة وسيلة للابانة عما في الحياة من جمال وفي النفوس من تلهف (١٠٤) وقد شبه النقاد (الخط والنطق بالتصوير) واجمعوا على (ان احذق المصورين من صور لك الباكي المتضاحك والباكي الحزين والضاحك المتباكي والضاحك المستبشر وكما انه يحتاج الى لطف يد في تصوير هذه الامثلة فكذلك يحتاج الى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفس للغير(١٠٥) انما يعرف الشعر الجميل بكثرة مائه وبديع رونقه. فاذا لمس الناقد تمايزا بين الشعراء فليلتمس اسباب ذلك التمايز في الصورة ، واذا وجدنا اتفاقا بين شاعر وتماثلا في السبيلين فانما مرد ذلك (لاشتباه الطريقين وتماثل الصورتين(١٠٦) ولكن اين هو الناقد العالم باسباب الجمال والعلماء بالشعر كما يقول (اعز من الكبريت الاحمر) (١٠٧)

١٠ . الشريف المرتضى (ت ٤٣٦)

والتصوير اعم من الصورة فثمة امور لاترى بدقائقها ولكن بانعكاساتها مثل الكرم الارادة فهما قابلان للتصوير بيد انهما لايثمران صورة ذات ملامح حسية وثمة امور قابلة للتصوير وداخلة في حيز الصورة مثل الالوان (١٠٨) والصورة مقترنة بالحواس وبخاصة البصر ولذلك دهش الاصمعي من ذكاء بشار بن برد في توليد الصور وسأل بشارا في ذلك فاجابه (من قدم العمى) (١٠٩) ودارس المرتضى يجده احيانا ينطق بالوصف بدلا من الصورة ، ويبدو ان ذلك عرف بين النقاد فالاصمعي يعني صورا في قوله (ماوصف احد الشعر الاحتاج الى قول بشر بن ابي خازم(١١٠) والشعراء الوصاف انما هم شعراء مصورون (١١١) والتصوير عندهم (مبني على التجوز والتوسع والاشارات الخفية والايماء على المعاني تارةمن بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق) (١١٢) وقوله التجوز والتوسع يعني المبالغة ، والمبالغة وجه من وجوه التشبيه، والتشبيه مادة الصورة، والشعراء يتخيلون ويصورون (فيشبهون الكفل بالكثيب وبالدعص وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور)(١١٣)، والناقدحين يتوهم الواقعيةوالصدق في صور الشعراء يكون قد حلل الصور تحليلا يبعث على الضحك فاية صورة لامرأة لها كفل بحجم الكثيب وخصر بدقة خصر الزنبور ،انها صورة مضحكة ومفزعة معا لتكارتها وقبحها وانما اتوا بالفاظ المبالغة صنعة وتانقا) (١١٤) والشعراء احرار فيما يصورون وشكول فيما يبدعون ، فثمة من يصنع صورة فنية قبالة اخرى واقعية وثمة من يصنع صورتين قبالة صورتين ، بل وجد الشعراء الذين يصنعون ست صور فنية قبالة ست صور فنية على الواقع(١١٥) .

١١ . ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦)

احسن الوصف عند ابن رشيق (مانعت به الشيء حتى يكادبمثله عينا للسامع) وانما الوصف هو (ذكر الشيء بما فيه من الاحوال والهيئات(١١٦) فاذا دققنا في حد الوصف وحسنه الفيناه الجسد والمعنى الروح(١١٧) وللناس فيذلك مذاهب، وقد سمعنا عمن (مثل المعنى بالصورة واللفظ حداً للصوره وحسنها ولكن الصوره ليست حركة في الفراغ وانما هي مزاج عنصرين هما اللفظ بالكسوة(١١٨) وهذه المذاهب على اختلافها متفقة في اهمية المهارة بالنسبة للشعر وفي ان للمهارة ضروبا وليست المهارة هي ان نعنى بالمخيلةالسمعية وحدها او البصرية وحدها فالمهارة ان (تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها) وان تجعل الالفاظ في الاسماء كالصور في الابصار)(١١٩)

---

(١٠٢) اعجاز القرآن ٧١ .
(١٠٣) نفسه ١١٥ .
(١٠٤) نفسه ١١٩ .
(١٠٥) نفسه ١١٩ .
(١٠٦) نفسه ١٢١ .
(١٠٧) نفسه ٢٠٣ والقول لابي عمرو بن العلاء .
(١٠٨) امالي المرتضى ٢٢/١ .
(١٠٩) امالي المرتضى ٥٠٩/١ .
(١١٠) نفسه ٥١١/١ .
(١١١) نفسه ٥١١/١ .
(١١٢) نفسه ٩٥/٢ .
(١١٣) نفسه ٩٦/٢ .
(١١٤) نفسه ٢/ ٩٦ .
(١١٥) نفسه ٤٠٢/٢ .
(١١٦) العمدة ١٨٢/٢ وانظر ابن رشيق الناقد الشاعر ٢١٨ وبعدها .
(١١٧) العمدة ١٢٤/١ .
(١١٨) نفسه ١٢٤/١ .

على ان الشاعر الماهر هو الذى تكون توليداته خفية لطيفة (لاتكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر) (١٢٠) ولايعني ذلك الخوف حد الوسوسة من النقاد فقد يعيبون الشعر الجيد ويتهمونه بما يوحي انه غريب عن جادة الادب وقد رد احد الشعراء لذع ناقديه مدافعا عن شعره قائلا (والله ماهو غريب ولكنكم في الادب غرباء) (١٢١) ويلاحظ دارس ابن رشيق وعيه لجدل الصورة والزمن ، فلكل زمن صوره وتشبيهاته فما هو مدهش عند القدماء لايكون عند المولدين (١٢٢) والاعتماد على صور الاولين نمط من السرقة (١٢٣) الا اذا كان الشاعر قادرا على صناعة جديد من قديم وجميل من اقل جمالا (١٢٤) لان (المخترع معروف له فضله)(١٢٥) لكن هذا لا يمنع من تشابه الصور والمعاني لتوارد الخواطر (فالشعر جادة وربما وقع الحافر على الحافر) (١٢٦) فالشعراء قدامى ومحدثين تتقارب لديهم الصور الباعثة على الرغبة والرهبة(١٢٧) وان اختلفوا في نسب الالوان وتفاصيل الخطوط (١٢٨) .

١٢. عبد القاهرة الجرجاني (ت ٤٧١)

معظم الذين كتبوا في الصورة الفنية نوهوا بوعي الجرجاني فياعتماد الصورة معيارا للنقد(١٢٩) وقد عده بعض الباحثين عيالا على ارسطو(١٣٠) وما جعلوه عيالا على ارسطو الا ليجعلوا العرب في شعرهم وتقدهم عيالا على اليونان ؛ وذا اتجاه بعيد عن الموضوعية فالعرب امة شاعرة و (ان جميع الفنون والاغراض البلاغية التي تحددت واخذت شكلها الاخير فيما بعد قد عرفها العرب في جاهليتهم(١٣١) والجرجاني ناقد ذو نظرات واضحة لعملية الشعر(١٣٢) فالشعر عنده طبع اولا واية ذلك البدوى (يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو) (١٣٣) واذا كان الطبع اولا فثمة الدربة والمعرفة ثانيا والنقاد (في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسلك الذي سلكناه) (١٣٤) وعليهم ان يعرفوا ان الشعر كلام اذا جاد فالمزية لملتين الاولى تعزى الى اللفظ الذي يتضمن الكناية والاستعارة والتمثيل وكل مادخل في المجاز والثانية تعزى الى النظم والتركيب (١٣٥) لكن الالفاظ مهما بولغ في فعلها خدم للمعاني (١٣٦) والشاعر المجيد من لايثقل صوره الفنيه بالمحسنات اللفظية (كمن اثقل العروس باصناف الحلي حتى ينالها من ذلك مكروه في نفسها)(١٣٧) . والصورة الفنية عند الجرجاني ادخل في باب الاستعارة ، والفن الذي يصنع الصورة (وكانها قد جسمت حتى رأتها العيون)(١٣٨) اليس الشاعر مصورا(١٣٩) فليختر اذن من الصور ما يرضي غاية نفسه ويعجب الاخرين(١٤٠) ويبحث الجرجاني في المعنى ومعنى المعنى من خلال ماتقدمه الالفاظ للفهم من معان مباشرة وغير مباشرة (١٤١) فالصورة الفاظ ومعان والالفاظ تصنع الصور ، والصور تصنع المعاني والمعاني الاوائل تفضي الى المعاني الثواني(١٤٢) فللناقد ان يلاحظ هذه الوشائج ، ويجعل الصورة ميزانا بين الشعراء ويتريث في الحكم للشاعر او عليه حين تتالف الصور او تتخالف ، وليجد العذر للشاعر الذي تاثر بشعر سلفه (اذا ركب عليه معنى ووصل به لطيفة ودخل اليه من باب الكناية والتعريض والرمز والتلويح ، فقد صار بما غير من طريقته واستؤنف من صورته واستجد له من المعرض(١٤٣) فغاية مايبتغيه الشاعر هو ان تخلق كلماته اثرا (شبيها بما يقع في نفس

---

(١١٩) نفسه ١/١٢٨ .
(١٢٠) نفسه ١/١٣٠ .
(١٢١) نفسه ١/١٣٣ .
(١٢٢) نفسه ١/٢٩٩ .
(١٢٣) نفسه ٢/٢٨٠ .
(١٢٤) نفسه ٢ / ٢٩٠ .
(١٢٥) نفسه ٢/٢٩٠ .
(١٢٦) نفسه ٢/٢٩٠ .
(١٢٧) نفسه ٢/٢٩٥ .
(١٢٨) نفسه ٢/٢٩٦ .
(١٢٩) الصورة الفنية في التراث ١٩٢ الصورة الفنية في المثل القرآني ٢٦ .
(١٣٠) كتاب نقد النثر (مقدمة طه حسين) ١٤ . كتاب ارسطوطاليس في الشعر (انظر راى عبد الرحمن بدوى ٢٤٠) .
(١٣١) الاثر الافريقي في البلاغة العربية ٢٩٠ .
(١٣٢) اسرار البلاغة ٢١٧ .
(١٣٣) دلائل الاعجاز ٣٢٠ .
(١٣٤) نفسه ٢٩٤ .
(١٣٥) نفسه ٣٢٩ .
(١٣٦) اسرار البلاغة ٥ .
(١٣٧) نفسه ٩ .
(١٣٨) دلائل الاعجاز ٣٠ .
(١٣٩) نفسه ٤٠ .
(١٤٠) نفسه ١٩٦ .
(١٤١) نفسه ٢٠٣ .

الناظر الى التصاوير التي شكلها الحذاق بالتخطيط والنقش او بالنحت وبالنقر(١٤٤) بشعر جاد لفظه وحسن معناه حتى تراءت صوره الفنية التي (تعجب وتخلب وتروق وتونق وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ويقشاها ضرب من الفتنة لاينكر مكانه ولا يخفى شانه)(١٤٥)

١٣ . ابن رشد (ت ٥٩٥)

بحث ابن رشد (الصورة) من ناحيتي الفلسفة واللغة ، فالموجود متالف من فاعل وصورة ومادة وهو كل معنى متصور في النفس ، سواء كان خارج النفس او لم يكن(١٤٦) وكل ما يدخل في حيز التصور له صورة كالاجسام والعواطف والكيفية والكمية (١٤٧) والاوهام (١٤٨) اذ ليس هناك وجه الاعلى جهة التصور (١٤٩) ولكن شتان مابين شكل الصورة وموضوعها فصورة الصندوق غير مادته وان دخلت المادة في صورته (١٥٠) والصورة عند ابن رشد سمة الموجودات المحسوسة فهي علة التشابه والتضاد(١٥١) .

١٤ . السكاكي ـ ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد (ت ٦٢٦)

يقول الدكتور احمد مطلوب في السكاكي (انه اول من اطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح علم المعاني وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة الادبية ـ التشبيه والمجاز والكناية ـ مصطلح علم البيان وانه اول من سمى غير هذه البحوث محسنات) (١٥٢) ولقد بحث السكاكي في في مقومات البليغ الذى يورد المقصود (على كيفيات مختلفة وصور متنافية حتى يتاتى بروزه عندك) وعد ذلك مضمارا لرهان (والذي يجري به الجياد)(١٥٣) وهو في ذلك محتاج للوقوف (على الحد والاستدلال او بعبارة اخرى الى الوقوف على علم المنطق) (١٥٤) ولذلك وجدنا تحليلاته للصور نائية عن الرؤية الجمالية فمثلا يقول في تحليل * جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط (اي يحمل المذق رائيه ان يقول لمشاهده هل رايت الذئب قط لايراده في خيال الرائي لون الذئب بورقته لكونه سمارا)(١٥٥) بل ان السكاكي يرى الفائدة في المعنى وليست في الصورة لانه (اشهى غذاء للروح واطيب قرى لها) (١٥٦) وكان عداء دائما بين المعنى والصورة .

ونظرة السكاكي العقلية للشعر والصارمة للصورة لم تمنعه من معاينة جمال التصوير في القرآن الكريم (١٥٧) فالتاريء يكاد يرى صورا دقيقة للجنة والنار وللناس بين هذه وتلك ، وتامل السكاكي مفردة (تثير) في قوله تعالى (والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها)(١٥٨) حيث صنعت (استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية) (١٥٩) وقرر نمطين من الصور (حقيقية ومجازية) في مبحث الاستعارة(١٦٠) وقال في الاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع (هي أن تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفردا في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على مايسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا وذلك مثل ان تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع ارواحها بالقهر والغلبة) (١٦١) ميز خمس حالات للاستعارة في نطاق الحسي والعقلي (١٦٢) .

١٥ . ابن الاثير ـ ابو الفتح ضياء الدين (ت ٦٣٧)

صنف ابن الاثير علم البيان عند العرب صنفين (فصاحة اللفظة وبلاغة المعنى)(١٦٣) ورأى أنّ من الغلط اهتمام مفسرى الاشعار بمعاني القصائد وما فيها من الكلمات اللغوية(١٦٤) ناسين ان هناك

---

(١٤٢) عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده ١٠٩ .
(١٤٣) اسرار البلاغة ٢٧٤ .
(١٤٤) نفسه ٢٧٥ .
(١٤٥) نفسه ٢٧٥ وانظر نظرية المعنى في النقد العربي ٤٣ .
(١٤٦) تلخيص ما بعد الطبيعة ١٦ .
(١٤٧) نفسه ٣٠ وبعدها .
(١٤٨) نفسه ٩٨ .
(١٤٩) نفسه ١٣٦ .
(١٥٠) نفسه ٨٧ .
(١٥١) نفسه ١١٣ .
دراسات في الادب المقارن التطبيقي ١١/٢٧٨ .
(١٥٢) مصطلحات بلاغية ٥٧ .
(١٥٣) مفتاح العلوم ٨٤ .
(١٥٤) البلاغة تطور وتاريخ ٢٨٧ .
(١٥٥) مفتاح العلوم ٩٠ .
(١٥٦) نفسه ٩٥ .
(١٥٨) فاطر : ٩ .
(١٥٩) مفتاح العلوم ١١٨ .
(١٦٠) نفسه ١٧٠ .
(١٦١) نفسه ١٧٨ .
(١٦٢) نفسه ١٨٣ .
(١٦٣) المثل السائر ٢٩/١ .
(١٦٤) نفسه ٤٠/١ .

شيئين (لا نهاية لهما : البيان والجمال)(١٦٥) ويدعو الشاعر (الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة مانقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس والى مايقوله المنادي في السوق على السلعة)(١٦٦) فضلا عن معرفة امثال العرب وايامهم (١٦٧) ويوجه الناقد الى ضرورة البحث عن اثر النفس في تصوير الحالة (١٦٨) والتمييز بين الصورة المجازية والحقيقية(١٦٩) فاذا قلنا زيد اسد فان السامع يتخيل (صورة الاسد وهيئته وماعنده من البطش والقوة) (١٧٠) واذا استطاعت الصورة ان تنفث السحر الحلال(١٧١) وتبعث في الالفاظ والمعاني الق الجمال فانها ستجد النفوس تشوى بالجمال وسحره ؛ النفوس الصافية التي يمكن عدها ميزانا دقيقا للجمال ؛ فالذي تميل اليه جميل والذي تنفر عنه فهو القبيح (١٧٢) ولكن ليس الجمال هبة حسب ولامرانا حسب بل هوالاثنان معا(١٧٣) قدتقرا شعراوتتخيل احدى صوره فتدهش وتقول (رايت خالا ولا ارى مطرا واى جمال عند من ليس له الاجمال ثيابه(١٧٤) وقد تقرا لشاعر اخر وتتخيل صورة فيه فتدهش وتقول هذه (دمية غير ان ليس على مصورها جناح) (١٧٥) فالشعر هو الجمال الذي يعرفه العربي بفطرته الصافية وليس حدودا فلسفية كالتي اصطنعها (ابن سينا والفارابي) اللذان تاثرا بـ (افلاطون وارسطوطاليس)(١٧٦) فالشاعر العربي غير محتاج الى المنطق ليفقه جمال الصورة وليعرف الحسن في الاشياء فلقد الف الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والحلاوة في العينين والرشاقة في القد (١٧٧) ولابن الاثير آراء مهمة في الصورة المطروقة والصورة(١٧٨) غير المطروقة والصورة القديمة والصورة الجديدة وعيار الجودة في الابداع وليس الابداع مقترنا بالالفة او الغرابة ؛ بالقديم او المحدث(١٧٩) (الا ترى انك اذا شبهت صورة بصورة هي احسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها)(١٨٠) فهو يرى ان التشبيه اساس صلب للصورة فثمة تشبيه معنى بمعنى وثان تشبيه صورة بصورة وثالث تشبيه معنى بصورة ورابع تشبيه صورة بمعنى(١٨١) .

(١٦٥) نفسه ٤٣/١ .
(١٦٦) نفسه ٧٢/١ .
(١٦٧) نفسه ٦١/١ .
(١٦٨) نفسه ١٠٢/١ .
(١٦٩) نفسه ١٠٦/١ .
(١٧٠) نفسه ١١١/١ .
(١٧١) نفسه ١١١/١ .
(١٧٢) نفسه ١١٤/١ .
(١٧٣) نفسه ١٣٦/١ .
(١٧٤) نفسه ١٦٨/١ .
(١٧٥) نفسه ١٩٩/١ .
(١٧٦) نفسه ٢٩٩/١ .
(١٧٧) نفسه ٢٥٦/١ .

١٦. حازم القرطاجني ت (٦٨٤)

وضع حازم القرطاجني الصور الحاصلة في الاذهان عن الاشياء الموجودة في الاعيان ضمن مبحث المعاني: فاذا اراد الشاعر ان يولد الصور فليس ثمة امامه سوى الالفاظ(١٨٢) لكن الالفاظ الصماء عاجزة عن التاثير مالم تكن في مدار الاوصاف (التي فطرت النفوس على استلذاذها او التالم منها أو ما وجد فيه الحالات من اللذة والالم كالذكريات للعهود الحميدة المنصرمة(١٨٣) لتكون الصورة ذات وقع شديد في الباصرة والنفس لتبعث الاحساس بالفرح او الفجيعة او الخيال المنيف(١٨٤) ويميز القرطاجني الصورة التي تصنعها المحاكاة التامة في الوصف والتصور الذي يعني (حصول صورة الشيء بالعقل) وادرك ماهيته من غير ان يحكم عليه بنفي او اثبات (١٨٥) وكان قد تكلم في الصورة التامة واضعا اياها قبالة (المحاكاة التامة) ومثاله في ذلك قول الاعشى :

كُنْ كالسموْءَل إذْ سارَ الهُمامُ لَهُ
في جَحْفَلٍ كَسَوادِ اللّيلِ جَرّارِ
فَشَكَّ غَيْرَ قَليلٍ ثُمَّ قالَ لَهُ
إذْبَحْ هَدِيَّكَ إني مانعٌ جاري(١٨٦)

(١٧٨) نفسه ٦٠/٢ .
(١٧٩) نفسه ٦٠/٢ .
(١٨٠) نفسه ١٢٤/٢ .
(١٨١) نفسه ١٢٩/٢ . ١٣١ .
(١٨٢) منهاج البلغاء ١٨ + دراسات في الادب المقارن التطبيقي ص ٢٢٨ .
(١٨٣) نفسه ٢١ .
(١٨٤) نفسه ٢١ .
(١٨٥) نفسه ٤٠٨ .
(١٨٦) ديوانه ٢٢٩ ق ٢٥ ب ٥ ـ ١٠ .

فلو اخلّ الشاعر بذكر بعض اجزاء هذه الحكاية لكانت الصورة ناقصة (١٨٧) واذا قال القرطاجني ذلك المثال فانه لايعني ان الابداع في التصوير حكر للمتقدمين ، كما انه ليس كذلك بالنسبة للمتاخرين (١٨٨) فالفضل في ابداع الصورة عائد الى تجربة الشاعر النفسية وبيئته الفنية (فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقعة فاضلة ولا في الالفاظ من لم ينشأ في امة فصيحة) (١٨٩) . فالصورة مبثوثة هنا وهناك والشاعرالحق هوالذي يلم اشتاتها بعمليةالتصور الذهنية ثم التصوير(١٩٠) من خلال قوى ثلاث : الاولى هي قوة حافظة حيث تكون (صور الاشياء مرتبة فيها على حد ماوقعت عليه في الوجود فاذا اجال خاطره في تصورها فكانه اجتلى حقائقها(١٩١) والثانية مائزة (هي التي يميز بها الانسان مايلائم الموضع والنظم والاسلوب) اما القوة الاخيرة فهي صانعة و (تتولى العمل في ضم بعض اجزاء الالفاظ والمعاني والتركيبات النظمية والمذاهب الاسلوبية الى بعض) (١٩٢) والناقد واجد في صوره المعاني نمطين (متكررا ومخترعا)(١٩٣) وهو منحاز اذا كان مجيدا الى (الصور الجديدة المخترعة) (١٩٤) ومتشدد مع الشعراء الذين يصنعون صورا كثيرة المأخذ(١٩٥) ، فينفرون الناس عن الشعر(١٩٦) والصورة الفنية التي يحبذها القرطاجني هي التي تصنع للمتلقي طبيعة اخرى اجمل من الاولى وتكون شديدة الاسر لاحتوائها على اسرار الصنعة(١٩٧) .

١٧ ـ يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥)

عني العرب بالمجاز لانه ابلغ من الحقيقة في تادية المعنى ، واهتموا بالاستعارة لانها اقوى من التصريح في رسم الصورة (١٩٨) وسبيل الشاعر الى الصورة في اغلبه يدور حول محور اسمه التشبيه المفرد الذي يأتي باربعة اوجه هي تشبيه صورة بصورة ثم تشبيه معنى بمعنى ثم تشبيه معنى بصورة واخيرا تشبيه صورة بمعنى (١٩٩) يجد الناقد نفسه احيانا امام مثال نادر الصورة يمكن ان نسميه (الصورة المنعكسة) ويرد هذا المثال في الشعر كثيرا ، بيد ان الصورة المنعكسة التي تشاكل التشبيه المقلوب لاترد (الا فيما كان متعارفا حتى تظهر فيه صورة الانعكاس لانه لو ورد في غير المتعارف عليه لكان قبيحا لان مطرد العادة في البلاغة على تشبيه الادنى بالاعلى) كقول ذي الرمة :

وَرَمْلٍ كأَرْدافِ العذارى قَطَعْتُهُ
إذا لَبِسَتْهُ المُظْلِماتُ الحنادِسُ

ويدعونا العلوي للنظر الى هذا البيت وكيف جعل (الاصل فرعا والفرع اصلا وذلك لان العادة جارية بتشبيه اعجاز النساء بكثبان الانقاء)(٢٠٠) لتصل معه الى ازدياد (شغف النفس) و (كثرة تعلقها) من الصورة التي تبعد في التشبيه لتلامس جوهر القصد (٢٠١) ولهذا عد التشبيه المضمر الاداة اعمق تاثيرا في النفس (٢٠٢) بيد ان اضمار الاداة ليس كافيا اذا لم يعتضد بالتخييل الذي يراه (احق علوم البلاغة بالاتقان واولاها بالفحص عن لطائفه) (٢٠٣) هل ثمة شاعر يستطيع تشبيه غير المحسوس بالمحسوس بعيدا عن التخييل (٢٠٤) ويتلبث العلوي عند مصطلح التخييل ناظرا في جذوره فهو مصدر من قولك تخيلت الامر اذا ظننته على خلاف ما هو عليه ومنه الخيال وهو خشبة توضع عليها ثياب سود تنصب للطير والبهائم فتظنه انسانا فتبعد عنه وتهابه(٢٠٥) اما تعريفه فهو (تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم انه ذو صورة تشاهد وانه مما يظهر في العيان)(٢٠٦) ويفهم من عناية العلوي بالتخييل مقدار حرصه على تنزيه الذات الالهية عن جميع الصفات المادية من جهة والنأي عن الظن بأن التشبيهات الواردة في

(١٨٧) نفسه ١٠٥ .
(١٨٨) نفسه ٢٧٨ .
(١٨٩) نفسه ٤٢ .
(١٩٠) نفسه ٤٢ .
(١٩١) نفسه ٤٢ .
(١٩٢) نفسه ٤٣ .
(١٩٣) نفسه ٣٦ .
(١٩٤) نفسه ٢٢٦ .
(١٩٥) نفسه ٢٢٧ .
(١٩٦) نفسه ٢٩٥ .
(١٩٧) نفسه ٢٩٥ .
(١٩٨) الطراز ٢٠٢/١ .
(١٩٩) نفسه ٢٠٥/١ .
(٢٠٠) نفسه ٢٢٦/١ .
(٢٠١) نفسه ٢٥٠/١ .
(٢٠٢) نفسه ٢/٣ .
(٢٠٣) نفسه ٢/٢ .
(٢٠٤) نفسه ٣/٣ .
(٢٠٥) نفسه ٤/٣ .
(٢٠٦) نفسه ٤/٣ .

كلام الشعراء القدامى هي من باب الحقيقة (٢٠٧) ومقدار اعتماده للصورة في الموازنة ، وقد تفحص السرقات الشعرية ليؤشر حقيقة التفاوت بين الشعراء في مضامير الاخذ والاضافة والتمثيل (فمن الشعراء من يأخذ كرة وبعرة وبردة ياقوتة ودرة ومن الناس من يأخذ ديباجة وبردة عباءة)(٢٠٨) وليجد الوشيجة بين مبحث السرقة ومبحث البديع فانما (علم البديع امر عارض لتاليف الالفاظ وصوغها وتنزيلها على هيئة تعجب الناظر وتشوق القلب والخاطر وهذا موجود في السرقات الشعرية فان الشاعرين المفلقين ياخذ كل واحد منهما معنى صاحبه ويصوغه على خلاف تلك الصياغة)(٢٠٩) .

١٨ . ابن خلدون (ت ٨٠٨)

لم يضع ابن خلدون كتابا في النقد ، كما انه لم يخصص في مقدمته حديثا عن الصورة الفنية بيد ان الباحث يجد عنايته بالصورة من خلال مواضع كثيرة ، فهو يتحدث مرة عن اناس قادرين على استشراف الصور المعنية على الناس الاعتياديين لانهم يرون مالا يرى (٢١٠) وفي اخرى عن اخرين يجدون لكل صورة حلمية تاويلا موصولا بالمجاز ، فالالوان والخطوط والحركات والملامح والحوادث لهادلالات تفسر الصور بغير ظواهرها(٢١١) وتصور الصورة ادخل في موضوع الصناعة فهو يستند الى الملكة ويعتمد على الدربة ، فصورة الكرسي تقتضي (الخشبة مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة) والصناعة ملكة ودربة وبهما تتحقق (الصورة المطلوبة)(٢١٢) وتعبير الرؤيا صناعة لها اتصالها بالتصور ايضا فالصورة النهائية تتالف من اشارات ولمحات متناثرة هنا وهناك(٢١٣) من خلال (النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صورا اخرى نفسانية عقلية فيرتقي التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك ادركت النفس من عالمها ما تدركه والقته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة)(٢١٤) والاحلام (كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن ان كانت تلك الصور منزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا وان كانت ماخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام) (٢١٥) نفس الانسان تصور له الامور في (الصور المناسبة) لذلك المعنى فهي تدرك (معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال بصورة البحر) . او تدرك العداوة (فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه راى البحر او الحية فلينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراءها وهو يهتدي بقرائن اخرى تعين له المدرك)(٢١٦) اذا كان التعبير في مجاز التاويل ؛ فالبيان العربي يعتمد (تصور مفردات تسند ويسند اليها ويقضي بعضها الى بعض) بحثا عن الابانة (٢١٧) فالتصور نفحة من الرؤيا ؛ وكما ان الرؤيا ميدان فسيح للصور الرمزية فان الاستعارة والكناية ميدانان فسيحان للصور الشعرية الرمزية ؛ فتلمنية اظفار تنشبها ولزيد طبع الاسد ؛ والصورة التي تعتمد كثرة الرماد في الموقد تنبيء عن الجود والقرى (٢١٨) وابن خلدون على يقين بان العرب (فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود باوفر ما يكون واضخم(٢١٩) وهذا لا يعفي الشاعر من مثل اساليب القدامى والمحدثين والتزود بالثقافة التي تصقل موهبته (٢٢٠) وعليه مهمة ادهاش الاخرين وامتاعهم بالصورة التي تنم نظراته للجمال فلا يقترب من تعابير السوقة ولا يتشادق بالتعبير الغريب(٢٢١) وعليه ان يعنى بالبلاغة والبيان لانهما (ديدن العرب ومذهبهم) ويلتفت في ذلك (الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق (٢٢٢) .

فالتراث الاصيل حافل باعمال المبدعين الذين يحاكون في خفة تنقلاتهم وجمال الوانهم النحلة

(٢٠٧) نفسه ٨/٣ .
(٢٠٨) نفسه ١٨٨/٣ .
(٢٠٩) نفسه ١٨٩/٣ .
(٢١٠) المقدمة ٩٢ .
(٢١١) نفسه ٤٠٥ .
(٢١٢) نفسه ٤١٠ .
(٢١٣) نفسه ٤٧٦ .
(٢١٤) نفسه ٤٧٦ .
(٢١٥) نفسه ٤٧٧ .
(٢١٦) نفسه ٤٧٧ .
(٢١٧) نفسه ٥٥٠ .
(٢١٨) نفسه ٥٥١ .
(٢١٩) نفسه ٥٥٢ .
(٢٢٠) نفسه ٥٥٣ .
(٢٢١) نفسه ٥٥٤ .
(٢٢٢) نفسه ٥٥٦ .

من التشبيه إلى المدح ومن وصف البيداء والطلول الى وصف الركاب والخيل والطيف) (٢٢٢) .

اما الاسلوب فهو المنوال الذى ينسج فيه التراكيب والقالب الذى يفرغ فيه (٢٢٤) ، ومجال الصورة الشعرية في الاسلوب يوسعه الذهن فالصوره ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في الخيال قالب او المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة(٢٢٥) فالصورة كالقالب الذي يستوعب ما سكبه بوتقة الغايات والفنون(٢٢٦) باعتماد الاستعارة والاوصاف(٢٢٧) . واخيرا فميزان الجودة (هو الذوق) (٢٢٨) فاذا ضعف حول الشاعر عن التصوير الرقراق فعليه ان (يروضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف بالترك والاهمال) (٢٢٩) ولن يغفر الناقد للشاعر تفريطه بالالفاظ لعنايته بالمعاني(٢٣٠) فالمعاني الجميلة تصنعها الالفاظ الجميلة (٢٣١) وعلى الشاعر الذى يسمى الى التفوق ان يعمل على تعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد ... حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه (٢٣٢) ويقترب من روح عصره ، فهو اجدر باهتمامه من سابق عصور الشعراء (٢٣٣) .

وبعد فثمة جهد لم نضعه في التسلسل لاننا اخرنا الحديث عن الجهود العربية حسب ، ولاباس ان نشير الى جهد الحنفي التهانوى ؛ محمد بن علاء ؛ توفى بعد عام ١١٥٨هـ (٢٣٤) لانه اثار

(٢٢٣) نفسه ٥٦٩ .
(٢٢٤) نفسه ٥٧٠ .
(٢٢٥) نفسه ٥٧١ .
(٢٢٦) نفسه ٥٧٢ .
(٢٢٧) نفسه ٥٧٣ .
(٢٢٨) نفسه ٥٧٥ .
(٢٢٩) نفسه ٥٧٥ .
(٢٣٠) نفسه ٥٧٧ .
(٢٣١) نفسه ٥٧٨ .
(٢٣٢) ٥٧٨ .
(٢٣٣) نفسه ٥٨٠ .
(٢٣٤) الاعلام ٦ /١٩٥ (التهانوى باحث من الهند) + تاريخ اداب اللغة العربية ٢٤٧/٢ .

الى افادته في حد الصورة من عدة علماء عرب نحو الجرجاني وابي البقاء واخرين (٢٣٥) وقد حد التهانوى الصورة بانها (كيفية تحصل في العقل .. وهي التسبح والمثال المشبه بالمتخيل في المرآة(٢٣٦) ولها صورتان ذهنية (داخلية) وحسية (خارجية)(٢٣٧) . واذا وقعت الصورة تحت الحواس ثم انحسرت فان العقل قادر على استحضارها من خلال تصور مشخصاتها ، صورة الشيء ماتؤخذ منه بعد حذف المشخصات ، (٢٣٨) . اما التصور فهو (حصول صورة الشيء في العقل و ... والتصور عند البلغاء يسمى تخيلا)(٢٣٨) .

(٢٣٥) كشاف اصطلاحات الفنون ٢٣٠/٤ ، ٢٣١ .
(٢٣٦) نفسه (فصل الراء المهملة) ٢٢٨/٤ .
وانظر فصل العين باب الطاء وفصل اللام باب الخاء المعجمة .
(٢٣٧) نفسه ٢٢٨/٤ .
(٢٣٨) نفسه ٢٣١/٤ .

ثبت بالمصادر والمراجع

١ ـ ابن رشيق الناقد الشاعر . عبدالرؤوف مخلوف . مط الدار القومية بالقاهرة (د : ت) .
٢ ـ الاثر الاغريقي في البلاغة العربية . مجيد عبدالحميد ناجي . مط الاداب النجف ١٩٧٦ .
٣ ـ احصاء العلوم . الفارابي : ابو نصر محمد بن محمد ت ٣٣٩ تح عثمان امين . مكتبة الانجلو المصرية . ط ثالثة ١٩٦٨ .
٤ ـ اخوان الصفا . د . مصطفى غالب منشورات دار الهلال ١٩٧٩ بيروت .
٥ ـ ادب الكاتب . ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ . مط السلفية بالقاهرة ١٣٤٦ .
٦ ـ اسرار البلاغة في علم البيان . عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٧١ تصحيح محمد رشيد رضا على نسخة معتمد عنده مط محمد علي صبيح بمصر ط سادسة ١٩٥٩ .
٧ ـ اعجاز القرآن . الباقلاني : ابو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣ تحقيق احمد صقر . مط دار المعارف بمصر ط ثالثة (د : ت) .
٨ ـ الاعلام . خير الدين الزركلي . ط دار العلم للملايين بيروت . الرابعة ١٩٧٩ .
٩ ـ الاغاني . الاصبهاني : ابو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦ ط روائع التراث العربي بيروت ١٩٧٠ وهي مطابقة لطبعة بولاق .
١٠ـ امالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي ت ٤٣٦ تح محمد ابو الفضل ابراهيم ط دار الكتاب العربي بيروت الثانية ١٩٦٧ .
١١ـ البلاغة تطور وتاريخ د . شوقي ضيف ط دار المعارف بمصر الثانية (د : ت) .

١٢ـ تاريخ آداب اللغة العربية . جرجي زيدان . مط دار مكتبة الحياة ط ثانية ١٩٧٨ .

١٣ـ تلخيص ما بعد الطبيعة . ابن رشد : ابو الوليد محمد بن احمد ت ٥٩٥ تح عثمان امين عطية مط مصطفى البابي بمصر ١٩٥٨ .

١٤ـ الخصائص . ابن جني : ابو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ تح محمد علي النجار مط دار الهدى بيروت ط ثانية (د : ته) .

١٥ـ دراسات في الادب المقارن التطبيقي . د . داود سلوم . مط دار الحرية بغداد ١٩٨٤ سلسلة (دراسات) .

١٦ـ دلائل الاعجاز في علم المعاني . الجرجاني : ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن ت ٤٧١ تصحيح محمد عبده ومحمود الشنقيطي مط دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ .

١٧ـ ديوان الاعشى الكبير . تحقيق د . محمد محمد حسين مط دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤ .

١٨ـ ديوان امرىء القيس تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مط دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .

١٩ـ ديوان المتنبي شرح الواحدي : ابي الحسن علي بن محمد ت ٤٦٨ ط مدينة برلين ١٨٦١ .

٢٠ـ ديوان المعاني . العسكري : ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل ت ٣٩٥ عنيت بنشره مكتبة القدس . القاهرة ١٣٥٢هـ .

٢١ـ رسائل اخوان الصفاء . مطبوعات دار صادر ١٩٥٧ .

٢٢ـ رسالة الجمع بين رايي الحكيمين (انظر مؤلفات الفارابي) .

٢٣ـ رسالة الفصوص (... مؤلفات الفارابي) .

٢٤ـ رسالة في المبادىء (... مؤلفات الفارابي) .

٢٥ـ الشعر والشعراء . ابن قتيبة ابو محمد عبدالله بن مسلم ت ٢٧٦ مط دار الثقافة بيروت . ط ثانية ١٩٦٩ .

٢٦ـ شعر يزيد بن الطثرية ت ١٢٦ صنعة حاتم صالح الضامن مط اسعد بغداد ١٩٧٣ .

٢٧ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د . جابر احمد عصفور مط دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٤ .

٢٨ـ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي د . نصرت عبدالرحمن مط مكتبة الاقصى عمان ١٩٧٦ .

٢٩ـ الصورة الفنية في المثل القرآني . د . محمد حسن علي الصغير شركة المطابع النموذجية ١٩٨١ منشورات دار الرشيد بغداد . سلسلة دراسات .

٣٠ـ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسات في اصولها وتطورها . د . علي البطل . دار الاندلس للطباعة والنشر ط اولى ١٩٨٠ .

٣١ـ عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده . د . احمد مطلوب طبعة دار العلم للملايين الاولى ١٩٧٣ .

٣٢ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني : ابو علي الحسن بن رشيق ٤٥٦ تح محي الدين عبدالحميد مط دار الجيل بيروت ط رابعة ١٩٧٢

٣٣ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء . ابن ابي اصيبعة . موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ت ٦٦٨ شرح وتحقيق د . نزار رضا منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ .

٣٤ـ عيون المسائل (انظر مؤلفات الفارابي) .

٣٥ـ الفتح على ابي الفتح . ابن فورجة : محمد بن احمد ت ..٤ تح عبدالكريم الدجيلي مط الجمهورية بغداد ١٩٧٤ .

٣٦ـ الفروق في اللغة . ابو هلال العسكري . منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط اولى ١٩٧٣ .

٣٧ـ الفسر او شرح ديوان ابي الطيب المتنبي لابن جني تح د . صفاء خلوصي الجزء الثاني مط الشعب بغداد ١٩٧٨ .

٣٨ـ فلسفة الجمال في الفكر المعاصر د . محمد زكي العشماوي دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٠ .

٣٩ـ في الشعر . ارسطوطاليس ت ٣٢٢ ق.م ترجمة وتحقيق د . شكري محمد عياد . مط دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧ .

٤٠ـ كتاب الحيوان .. الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ تح فوزي عطوي ط اولى ١٩٦٨ .

٤١ـ كتاب الصناعتين . ابو هلال العسكري تح علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم مط عيسى البابي بمصر ط ثانية ١٩٧١ .

٤٢ـ كتاب الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . العلوي اليمني : يحيى بن حمزة بن علي ت ٧٤٥ مط المقتطف بمصر (د : ت) .

٤٣ـ كتاب نقد النثر المنسوب لابي الفرج قدامة بن جعفر ت ٣٢٧ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ .

٤٤ـ كشاف اصطلاحات الفنون . التهانوي : محمد علي الفاروقي (القرن الثاني عشر الهجري) تح لطفي عبدالبديع ترجمة د . عبدالمنعم محمد حسين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

٤٥ـ مصطلحات بلاغية د . احمد مطلوب . مط العاني بغداد ط اولى ١٩٧٢ .

٤٦ـ معجم الادباء . الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله ت ٦٢٦ نشر بعناية مارجليوث . الطبعة الاخيرة دار احياء التراث العربي بيروت (د:ت)

٤٧ـ مفتاح العلوم . السكاكي : ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي ت ٦٢٦ مط مصطفى البابي بمصر ط اولى ١٩٣٧ .

٤٨ـ مقالة في العقل (مؤلفات الفارابي) .

٤٩ـ مقدمة ابن خلدون . ابن خلدون : ابو زيد عبدالرحمن محمد بن محمد ت ٨٠٨ مط مصطفى محمد بمصر (د : ت) .

٥٠ـ مناهج بلاغية د . احمد مطلوب . ط اولى ١٩٧٣ منشورات وكالة المطبوعات بالكويت .

٥١ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء . القرطاجني : ابو الحسن حازم القرطاجني ت ٦٨٤ تح محمد بن الحبيب بن الخوجة مط دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦ .

٥٢ـ مؤلفات الفارابي : الفارابي : ابو نصر محمد بن محمد ت ٣٣٩ جمع وتحقيق د . حسين علي محفوظ ود . جعفر ال ياسين مطبعة الاديب بغداد ـ الطبعة الاولى ١٩٧٥ .

٥٣ـ نظرية المعنى في النقد العربي د . مصطفى ناصف ط دار الاندلس الثانية ١٩٨١ .

٥٤ـ هذا هو الفارابي . مدني صالح . مط دار الحرية بغداد ١٩٨٠ سلسلة الموسوعة الصغيرة .

آفاق عربية

مجلة فكرية عامة . تصدر عن :

دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

WWW.ATTAWEEL.COM